

## مشروعية التظاهر

### المقدمة

((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي; وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي; وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي; يَفْقَهُوا قَوْلِي)).

الخطاب أداة توصيل تتولى نقل المضامين الفكرية، والسياسية، والمشاعرية من المعطي (الخطيب) إلى المتلقي (المخاطب)، وما من حركة سياسية، أو ثورة جماهيرية، أو دولة قوية إلا ولها خطيب يتولى طرح أهدافها، وتحديد آليات تحقيقها ويحذر من الأخطار المحدقة بها.

لحظة الخطاب هي لحظة الكلام التي تمنح المعطي قوة التأثير في المتلقي، ومَلَكة النفوذ إلى عمقه، ويشعر معها أنه بقدر ما ينطلق من عمقه كخطيب سينفذ إلى عمق المتلقي كمخاطب، ولا يتأتى له ذلك ما لم يتمتع بوعي مركب، ووعي المبادئ التي يدعو لها.. الواقع الذي يحيط بشعبه.. المخاطر المحدقة به.. الطموحات التي يتطلع إلى تحقيقها، والبرامج التي تتكفل بإحداث النقلة النوعية المنشودة، وكذلك ووعي البنيوية الخطابية التي تمتزج فيها مفردات اللغة بدقة المفاهيم، وصدق المشاعر باتجاه التقارب الجاد لأحاسيس الناس.

العطاء والأخذ كمادة للتداول، والمعطي والمتلقي كأطراف للتداول، لا يُشكّل ذلك بقرار، أي حين يجالس الإنسان مَنْ هو أكثر منه ثقافة وأسبق تربية، لاشك أنه أمام واقع التلقي، إذ لا يوجد مُعطي مطلق ودائم ومُتلَق مطلق ودائم؛ لأننا لسنا معصومين أو ملائكة، إنما هي نسبية تحكم الطرفين..

هذه الخطب أفرزتها معاناة مستوحاة من عذابات إنسان العراق والعالم، وصاغتها طموحات الإنسان ذاته، وحددت اتجاهها إرادة الإنسان المعطي؛ لذا كانت مرتجلة دونما تحضير مسبق أو زخرفة متكلفة تظهر فيها الصنعة الكتابية وهذا هو ديدن الدكتور ابراهيم الجعفري في كل خطبه.

مؤسسة الكتاب الثقافية

## مشروعية التظاهر كلمة الدكتور الجعفري إلى الشعب العراقي بخصوص المظاهرات

((ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ))

السلام عليكم أيها الشعب العراقي الكريم، ورحمة الله، وبركاته.. نحن أمة التظاهر حالة أساسية فيها، ترسخت، وتدوّرت عبر التاريخ؛ لأن مبادئنا وقيمنا وتاريخنا كل ذلك يؤكد على ضرورة التظاهر والانفتاح والحديث بفتح مفتوح، حتى العبادات في الإسلام تؤكد على ضرورة مخاطبة الجماعة، إنما سُمّي الجامع جامعاً؛ لأنه يجمع الناس بأوسع قدر ممكن، وكذلك كانت صلاة الجماعة وكثير من العبادات ومواسم الحج والعمرة كلها تخاطب العقل الجماعي، ولسنا في عقدة حصار؛ حتى نتحدث مع ذواتنا في أروقة مظلمة فتاريخ الشعب العراقي عابق بالتظاهرات، وقد تظاهر أكثر من مرة، وعبر في أكثر من موسم وفي مواجهة أي حدث من الأحداث، وتظاهر بوجه الدكتاتور الطاغوت صدام في أكثر من مرة، وواجه حزب البعث في ذلك الوقت، وقتل من شعبنا آلاف بل مئات الآلاف من الشهداء، وفتك بهم صدام بأعتى الأسلحة.

التظاهر بالنسبة لنا تعبير مشروع أقرته الديانات السماوية والقيم الإنسانية والأنظمة الاجتماعية المختلفة، بعد ذلك ضمنه الدستور، وكفله لذلك ليست مشكلة ولا خشية من أن يتظاهر أبناء العراق، ويعبروا عن آرائهم وحقوقهم وملاحظاتهم، وكل ما لديهم تجاه العملية السياسية يرمتها بما يتعلق بالدستور أو البرلمان أو الحكومة، ويوم واجه شعبنا ذلك النظام المقبور واجهه بصدور عزلاء في حلبجة، والأنفال، وانتفاضة الأنبار، والانتفاضة الشعبانية، والانتفاضات كافة.

في زمن الدكتاتور كانت حصة التظاهرات القمع والرمي بالرصاص، وعلى مشهد ومرأى العالم كله غير أن العالم في ذلك الوقت قد أصابه الصمم، ولم ينبس ببنت شفة، ويوم دخلت قواته الغازية المحتلة إلى الكويت تحرك شعبنا كله من أجل أن يستنكر تلك العملية القبيحة، وما كان للنظام رد إلا المجازر التي شملت 350 ألف ضحية من مختلف الشرائح الاجتماعية، ماذا نذكر حينما نستحضر التاريخ الأسود لحزب البعث وصادم؟.

ما يجري اليوم في تونس رفضاً لديكتاتورية زين العابدين بن علي، وفي ليبيا ضد ديكتاتورية معمر القذافي، وكذلك في الأنظمة والبلدان العربية الأخرى التي هبت عليها أعاصير التغيير، هذه المبادرات تأخرت إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مبادرات

الشعب العراقي، وكيف انتفض، وتحرك، وثار من مدينة إلى أخرى ضد الدكتاتورية، نحن وُلدنا من رحم التظاهرات السلمية الحضارية التي عبّرنا بها عن حقوقنا تجاه أعتى الأنظمة.

التظاهر اليوم حالة انطلقت بفضل أحد الشباب الذي حرق نفسه في تونس ( محمد بو عزيزي)؛ ليتحرك بذلك الشعب التونسي كله، وامتدت هذه الانتفاضة من تونس إلى مصر، وليبيا، البحرين، واليمن، والجزائر، ومناطق أخرى من العالم، ولم يُعد ظاهرة إقليمية.

عندما ثار الشعب، وانتفض على الدكتاتورية التي صمّمت على أن تكون أبدية إلى نهاية عمر الطاغوت، وتمتد الدكتاتورية إلى ما بعد فناء الديكتاتور إلى ابنه، وتحولت هذه الأنظمة إلى أنظمة وراثية؛ فلم يكن أمام الشعب إلا أن ينتفض، ويثور وقد سبق الشعب العراقي هذه الشعوب بتلك الانتفاضات التي رصّعت تاريخه عبر التاريخ العراقي المعاصر.

في الوقت الذي أحيي شعبنا العراقي البطل، وأناشد الأجهزة المختصة أن تدرس مطالبه، وتتأمل في معاناته، وتفتح عقلها وقلبها وأذنها من أجل أن تستجيب لتلك المطالب، وفي الوقت الذي أحيي البرلمان على خطوته العزيزة قبل فترة عندما أعاد النظر بالموازنة، وألغى الكثير من حالات التعسف الموجودة، وإن لم تكن مقصودة، وقارب بذلك مطالب الشعب العراقي المظلوم.. أعتقد أن هذه الخطوة لا ينبغي أن تكون خاتمة الخطوات بل تشكل خطوة انعطاف جديدة تتبعها خطوات أخرى لصالح الشعب العراقي؛ لذا أتصور أننا من الآن فصاعداً ينبغي أن نعيش حالة الاستماع الواعي والمستجيب، وليس استماعاً غافلاً متجاوزاً على إرادة الشعب العراقي؛ فنحن من الشعب جننا وإليه نعمل، وبواسطته نحقق هذه الأهداف.

ليس أمامنا جميعاً إلا أن نحرص على هذه الإنجازات، ونمضي في طريق بناء العراق الجديد اقتصاداً وسياسة وأمناً وهناك مشاكل كثيرة عصفت، وتوارثناها منذ مرحلة ما قبل السقوط، وهناك فساد في الأنظمة الإدارية، وقد حرصت الحكومة على أن تتأخر من أجل ضم أكبر عدد ممكن من القوى السياسية..

إن مطالب شعبنا مطالب مشروعة، والشعب يجب أن يعبر عنها بكل جرأة، وهم في الوقت الذي يتحلون بهذه الشجاعة العالية عليهم أن يتحلوا بالوعي الكامل؛ حتى يفوتوا الفرصة على كل متصيد بالماء العكر، وكل من يحاول أن يعيد العراق إلى سابق عهده..

الثورة كل الثورة تكون بوجه الدكتاتوريات والطغيان، وعندما نستحضر الكثير من الضحايا التي قدّمها شعبنا، ونتساءل من الذي قتل (محمد باقر الصدر)، وقتل (آمنة

الصدر)، وقتل (محمد محمد صادق الصدر)، وقتل (محمد باقر الحكيم)، وقتل قبضة الهدى، وقتل الشيخ (عبد العزيز البدري) والشيخ (ناظم العاصي)، من الذي قمع الانتفاضات، ومن الذي أحرق حلبجة، وارتكب جريمة الأنفال؟! كلها مقرونة باسم حزب البعث.. لا بد أن يصدح أبناء شعبنا بصوت عالٍ لا تردد فيه بأن لا عودة لحزب البعث، أما المطالب فأؤكد أنها مشروعة، وأن كل وطني لا بد أن ينضم إلى صف أبنائنا في كل ما يطلبون من دون أن يعطوا فرصة للذين يستغلون هذه المناسبات، ويوجهونها وجهة غير صحيحة..

أعتقد أن الوقت قد حان لأبناء شعبنا لأن يعبروا عن مطالبهم في كل المناسبات خصوصاً أن أصوات المرجعية الدينية والعلماء والخيرين والصالحين والقوى السياسية كلها قد التقت على شيء واحد اسمه (مصلحة الوطن، والحفاظ على العملية السياسية، وعدم التعرض لمؤسسات الدولة)؛ لأنها ملك الشعب وحده، ولا يجوز أن نفرط بهذه التجربة؛ وعليه فنحن نعتقد أن أبناء شعبنا في الوقت الذي يعبرون عن آرائهم بملء أفواههم وحررياتهم لا بد أن يقرنوا ذلك بمزيد من الحرص على سلامة العملية السياسية، والحفاظ على دستور الدولة ونظامها.

لا بد أن نصغي لكل ظاهرة فساد يوشر عليها الشعب، ونتعامل معها بجدية عالية سواء كانت في الإدارات المحلية في المحافظات أو كانت في الحكومة الاتحادية في بغداد، وسواء كان منها متعلقاً بالدستور أو أداء الحكومة أو البرلمان، فكل شيء خاضع للمراجعة من أجل أن نرتقي بالعراق إلى مستوى طموحاتنا. يجب علينا المراجعة حتى نتجنب التراجع، وعلى كل مسؤول أن يراجع طريقته في العمل، وهيكلة الإداري، ومستشاريه، وصلاحياته.

علينا أن لا نعيش فاصلاً بيننا وبين أبناء شعبنا، لقد ودّعنا أزمة تشكيل الحكومة توأ قبل بضعة أشهر، وها نحن الآن حتى هذه اللحظة لم نتم الحكومة بعد؛ لذلك يجب أن نستحث الخطى، ونسارع من أجل ملء هذه الفراغات؛ حتى نرتقي بالعراق إلى مستوى طموحاتنا.

في الوقت الذي يعي شعبنا الثورات التي حصلت في شعوب العالم المجاورة لنا يدرك جيداً أن رياح هذه الثورة تماماً كرياح الثورة التي انطلقت من أرض العراق وشعبه في المرحلة التي مضت، وأسقطت الديكتاتورية، وهي تمضي اليوم لتتم العملية السياسية بأحسن وجه ممكن..

تحية لكل شهدائنا الأبرار، ولشعبنا العراقي العظيم، وإلى مزيد من الإنجازات السياسية.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.